الوصايا العشر من سورة الأنعام

(خطبة الجمعة للشّيخ عبد السّلام عيساوي بمسجد الشّيخ أحمد حفيظ رحمه الله

يوم 10 ذو الحجة 1433هـ الموافق لـ 26 أكتوبر 2012م)

الخطبة الأولى:

إنّ الحمد لله تعالى نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفُسِنا ومن سيِّئات أعمالِنا، من يهدِه الله فلا مُضِلّ له ومن يُضلل فلا هادِيَ له ،

وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريك له ، وأشهد أنّ مُحمّدًا عبدُه ورسوله ، صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم،

" **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿ 102 ﴾** "سورة آل عمران.

" **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿ 01 ﴾** "سورة النّساء.

" **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿ 70 ﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿ 71 ﴾** "سورة الأحزاب.

أمّا بعد ،

فإنّ أصدق الحديث كلام الله تعالى، وخير الهَدْيِ هَدْيُ نبيّنا محمّدٍ – صلّى الله عليه وآله وسلّم –،

وشرّ الأمور مُحدثاتها ، وكلّ محدثةٍ بدعة ، وكلّ بدعةٍ ضلالة ، وكلّ ضلالةٍ في النّار ،

يقول ربُّنا عزّ وجلّ في ثلاث آياتٍ من سورة الأنعام ، ذكر فيها وصايا من أعظم الوصايا الّتي ينبغي أن يأخذ بها المسلمون ، قال سبحانه :

" قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿ 151 ﴾ وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللّهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿ 152 ﴾ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿ 153 ﴾ " **سورة الأنعام** .

جاء في ما أخرجه التّرمذي وحسّنه ، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، أنّه قال :

(من أراد أن ينظر إلى وصيّة محمّد صلّى الله عليه وسلّم الّتي عليها خاتمه فليقرأ قوله تعالى :

" قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ . . . ﴿ 151 ﴾ " **سورة الأنعام** .

وذكر الآيات) ،

وقال ابن عباس :

(إنّ في سورة الأنعام ثلاث آياتٍ هنّ الآيات المحكمات ما من شريعة إلاّ وجاءت فيها أو قال ما خلت منها شريعة قطّ وما نُسِخَت يعني وما أُبْطِل حكمها في شريعة قطّ) ،

يريد بها هذه الآيات الّتي تلوهّا على أسماعكم ، هذه الآيات تضمّنت وصايا عديدة ، أحببت أن أذكّر بها نفسي وإخواني على جناح السّرعة في هذا اليوم العظيم الّذي نحياه ، وقد كانت من سنّة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنّه يغتنم المحافل العامّة بالمسلمين ، فيذكّر بها بالمسائل العظام أو يذكّر فيها بالمسائل العظام ، الّتي ينبغي للمسلمين أن يلتزموا بها .

فأوّل وصيّة قوله تعالى :

" . . . أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا . . . ﴿ 151 ﴾ " **سورة الأنعام** .

هذه الوصيّة تضمنت النّهي عن الشّرك ، ولا شكّ أنّ الشّرك مضادّ للتّوحيد الّذي هو إفراد الله عزّ وجلّ بالعبادة ، **وقد سأل ابن مسعود رضي الله عنه النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فقال** : (**أي الذّنب أعظم ؟**) ، **قال** : (**أن تتّخذ لله ندًّا وهو خلقك**) ، أي كما أنّه خلقك وحده سبحانه ، فهو الّذي ينبغي أن تعبده وحده سبحانه ، والشّرك عباد الله من الخطايا الّتي تحرم العبد مغفرة الله سبحانه وتعالى ، قال الله عزّ وجلّ :

" إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا ﴿ 48 ﴾ " **سورة النّساء** .

" إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا ﴿ 116/4 ﴾ " **سورة النّساء** .

أي أنّ العبد إذا لقي الله عزّ وجلّ مشركًا به فلا طمع له في مغفرة الله سبحانه وتعالى ، أمّا ما دون الشّرك من كبائر الذّنوب فإنّا نرجو للمسيء ونخاف عليه ، فهو إلى مشيئة الله إن شاء عذّبه وإن شاء عفا عنه ، والشّرك عباد الله هو الخطيئة الوحيدة الّتي تحيط بالعبد ، فلا تجعل لمغفرة الله عز وجل منفذًا في الآخرة طبعًا ، كما قال الله عزّ وجلّ :

" بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً (والمراد بها هنا الشّرك) وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿ 81 ﴾ " سورة البقرة .

" أحاطت به خطيئته " : دارت عليه من كلّ جانبٍ ، فليس لرحمة الله منفذًا ،

هذا الشّرك الأكبر الّذي يكون محبطًا للعمل في الدّنيا ، ويكون سببًا في الحرمان من مغفرة الله عزّ وجلّ ،

وقد قال الله عزّ وجلّ لنبيّه :

" وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿ 65 ﴾ " سورة الزّمر .

ومن الشّرك الّذي ينبغي للمسلم أن يخشاه ويخافه الشّرك الأصغر الّذي **قال فيه النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم** :(**إن أخوف ما أخاف عليكم الشّرك الأصغر**) ، **قالوا** : (**وما الشّرك الأصغر يا رسول الله ؟**) ، **قال** : (**الرّياء**) ، والمراد بالرّياء ، أن يعمل المسلم عملاً من شأنه أن يكون لله ، فهو يلاحظ فيه غير الله عزّ وجلّ ، كأن يصلّي ويحسّن صلاته ليراه النّاس ، أو أن يتصدّق ليقول النّاس إنّه متصدّق ، أو أن يحجّ ليقول النّاس إنّه حاجٌّ ، وغير ذلك من الأعمال الّتي يدخلها الرّياء ، فينبغي للمسلم أن يخاف على نفسه من هذا ، وقد قال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم في حديثٍ قدسيٍّ ، يقول الله عزّ وجلّ :

(أنا أغنى الشّركاء عن الشّرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه) ، وقد جاء في بعض الأحاديث أنّه يُقال له يوم القيامة : (إذهب إلى الّذي عملت له فضل أجرك منه ، فإنّه لا أجر لك عند الله عزّ وجلّ) ،

ومن الشّرك الأصغر عباد الله الحلف بغير الله عزّ وجلّ ، كأن يحلف الإنسان برأس أمّه وهذا كثيرٌ عندنا ، أو يحلف بآبائه أو أبنائه أو بالشّرف ونحو ذلك من الأشياء ، **فإنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال** : (**من حلف بغير الله فقد أشرك**) ،

وقال صلّى الله عليه وسلّم :

(**ألا لا تحلفوا بآبائكم ولا أبنائكم ، من كان حالفًا فليحلف بالله أو فليصمت**) ،

يعني لا يجوز لمسلمٍ أن يحلف بغير الله عزّ وجلّ ،

ثمّ من الوصايا الّتي وردت في هذه الآيات ، قوله عزّ وجلّ :

" . . . وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا . . . ﴿ 151 ﴾ " **سورة الأنعام .**

فهذه تتضمّن الوصيّة بالوالدين وما أدراكم ما الوصيّة بالوالدين ، فإنّها ما جاءت في كتاب الله إلاّ مقرونةً بعبادته سبحانه وتعالى في آياتٍ كثيرةٍ ، وهذا يدلّ على عظم حقّهما عند الله عزّ وجلّ ، بل إنّ برّهما والإحسان إليهما من أفضل القربات إلى الله عزّ وجلّ ، بل هي أفضل من الجهاد في سبيله ، **سأل عبد الله ابن مسعود النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فقال** : (**أيُّ العمل أفضل ؟**) ، **قال** : (**الصّلاة لوقتها**) ، **قال قلت** : (**ثمّ أي؟**) ، **قال** : (**برّ الوالدين**) ، **قال قلت** : (**ثمّ أي؟**) ، **قال** : (**الجهاد في سبيل الله**) ، ومما يدلّ على هذا **أن رجلاً جاء إلى النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم يبايع على الهجرة والجهاد ، فقال** : (**ألك والدان؟**) ، **قال** : (**نعم**) ، **قال** : (**ارجع ففيهما فجاهد ارجع ففيهما فجاهد**) ، فهذه النّصوص تدلّ دلالةً صريحةً على عظم حقّ الوالدين ، وأنّ على المسلم أن يبرّ بهما ، سواءً كانا أحياءًا أم قد ماتا ، فإن البرّ لا ينقطع بالموت ، وإنما قد يكون البرّ حال موت الوالدين ، وهذا نقوله لمن قد مات أبواه ، نسأل الله عزّ وجلّ أن يرحم أموات المسلمين أجمعين ، وكما أنّ الله عزّ وجلّ أمر ببرّ الوالدين ، فقد نهى عن العقوق وجعله من أكبر الكبائر ، **فقال:** (**ألا أُنبِّأكم بأكبر الكبائر؟**) ، **قالوا** : (**بلى يا رسول الله**) ، **قال:** (**الإشراك بالله وعقوق**) ،

بل إن عقوق الوالدين من الذّنوب الّتي تعجّل عقوبتها في الدّنيا ،

النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال :

(**بابان أي ذنبان عقوبتهما معجّلة في الدّنيا البغي والعقوق**) ،

أي الظّلم والعقوق فالّذي يعقّ والديه يرى نكال عقوقه وجزاء عقوقه في الحياة الدّنيا قبل الآخرة ثمّ الوصيّة الّتي أوصى فيها عزّ وجلّ بعد ذلك قوله تعالى :

" . . . وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ . . . ﴿ 151 ﴾ " **سورة الأنعام.**

فهذه وصية بالأولاد تتضمّن النّهي عن قتلهم لأجل الفقر الّذي قد يصيب الوالدين فإنّ الّذي يرزق الوالدين هو الّذي يرزق الأولاد فلا يحلّ لمسلم أن يقتل ولده فقد قال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم لّما سألهم ابن مسعود في الحديث الّذي سبق أيّ الذّنب أعظم قال الإشراك بالله ثمّ قال وأن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك أي أن تقتل ولدك لأنّ

الزّاد عندك قليل ولأنّ ذاك اليد عندك قليلة فهذا لا ينبغي أن يفعله مسلم وقال الله عزّ وجلّ في آية أخرى في سورة الإسراء :

" وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ . . . ﴿ 31 ﴾ " سورة الإسراء .

في هذه الآية قال من إملاق وفي آية الإسراء قال خشية إملاق وفرق بين الآيتين فآية الأنعام الّتي نحن فيها لا تقتلوا أولادكم من إملاق أي من فقر أنتم واقعون فيه وفي آية الإسراء لا تقتلوا أولادكم من فقر تخشون أن تقعوا فيه فإنّ الّذي يرزق هو الله عزّ وجلّ وإنّ هذه الوصيّة تتضمّن الإحسان إلى الأبناء فكما أنّ فيها النّهي إلى الإساءة بالقتل فيها الإحسان إلى الأبناء والإحسان إحسان مادّي بتربية الجسد ورعايته وإحسان معنوي بالحرص على تربية الأبناء تربية سليمة سويّة أمّا التّربية الجسدية فعلى الأب أن يحرص أن لايطعم ولده من حرام وأن يحرص أن يكون كل ما يصل إلى ولده حلال خالص فالنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال ":

أيّما جسم نما من سحت فالنّار أولى به ونرى كثيرًا من الآباء يشتكون من عقوق الأبناء ومن فساد أخلاقهم ولو فتّشت في حال الأب لوجدت ماله مغشوشًا ولوجدت في ماله دخلاً ولوجدته قد أطعم ولده طيلة حياته من حرام فعليه أن يراجع نفسه أوّلاً ومن الإحسان المعنوي الحرص على تربيتهم على الوجه الّذي يرضي الله سبحانه وتعالى فالنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال كلّكم راعٍ وكلّكم مسؤولٌ عن رعيّته ومن الوصايا في هذه الآيات قوله عزّ وجلّ :

" . . . وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ . . . ﴿ 151 ﴾ " سورة الأنعام .

فهذا نهيٌ للمسلمين أجمعين أن يقربوا أي فاحشةٍ كانت صغيرة كانت أو كبيرة ظاهرة كانت أو باطنة ظاهرة ممّا يكون بعام الجوارح كالأيدي والرّجل واللّسان وباطنة ممّا يكون بالقلب كالغلّ والحقد والحسد ونحو ذلك من الآفّات القلبيّة فعلى المسلم أن يجتنب الفواحش ما استطاع إلى ذلك سبيلا وشعاره في ذلك :

" قُلْ إِنِّيَ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿ 15 ﴾ " سورة الأنعام .

هذا شعارٌ ينبغي للمسلم أن يجعله نصب عينيه يستحضره في كلّ آنٍ وحينٍ ولو جعلنا مراقبة الله عزّ وجلّ ديداننا في الحياة لقلت منّا الذّنوب والمعاصي على كلٍّ فالمسلم مطالبٌ بأن يجتنب الفواحش ما استطاع إليه سبيلاً على رأس ذلك الكبائر فإنّ الّذي يأتي الكبيرة فهو إلى مشيئة الله عزّ وجلّ إن لم يتب في الحياة الدّنيا إن شاء عذّبه وإن شاء عفا عنه ومن الوصايا في هذه الآيات قوله عزّ وجلّ :

" . . . وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ

﴿ 151 ﴾ " سورة الأنعام .

فهذه الوصيّة فيها حفظ للأنفس معصومة وعلى رأس ذلك حفظ أنفس المسلمين فلا يجوز لأيّ مسلمٍ أن يعتدي على أخيه المسلم بأيّ حالٍ من الأحوال بالقتل أو دون القتل فلا يجوز له أن يتجرّأ على دمه ولا على ماله ولا على عرضه كذلكم من الأنفس المعصومة نفس الكافر إذا كان في بلاد الإسلام بعقد أمانٍ أو كان في عقد ذمةٍ فإنّه لا يجوز لمسلمٍ أن يقتل كافرًا دخل إلى بلادنا بعقد أمانٍ فإنّ ذلك الفعل يكون فيه إخطارٌ لذمّة الله عزّ وجلّ وقد تبرّأ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم من كلّ من آذى ذمّيًّا بأن قتله إنتقصه حقه أو أخذ من ماله فهذه بعض الوصايا ويأتي تمامها في الخطبة الثّانية أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم .

الخطبة الثّانية :

الحمد لله الهادي من استهداه الواقي من اتّقاه الكافي من تحرّى رضاه حمدًا بالغًا أمد التّمام ومنتهاه والصّلاة والسّلام على نبيّنا وسائر النبيّين وآل كلّ ما رجا راجٍ مغفرته ورحماه ،

أمّا بعد ،

فإنّ من الوصايا الّتي جاءت في آيات الأنعام قوله سبحانه وتعالى :

" وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ . . . ﴿ 152 ﴾ " سورة الأنعام .

فهذه وصيّةٌ لمن أكرمه الله عزّ وجلّ برعاية اليتيم وقد يظنّ بعض النّاس أنّ رعاية اليتيم إنّما هي عبءٌ زائدٌ وإنّما هي أثقالٌ زيدت عليه وما علم هذا بقول النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم : (أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنّة فالنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم رغّب في كفالة اليتيم لكن مع ذلك ينبغي للمسلم أن يراعيه حقّه بألاّ يقرب ماله وأن لا يأخذ من ماله شيئًا إن كان لليتيم مالٌ إلاّ بالّتي هي أحسن إلاّ أن يريد الإصلاح في ماله فإنّه إن أراد الإصلاح فلا بأس بذلك وقد تحرّج الصّحابة لمّا نزلت هذه الآية ومثلها في موضع آخر تحرّجوا من مخالطة اليتيم فأنزل الله عزّ وجلّ قوله :

" . . . وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاَحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ . . . ﴿ 220 ﴾ " سورة البقرة .

أي أن تنظر في حاله وترعاه وتسعى على شؤونه هذا خيرٌ لك من أن تعتزله وتتركه وحاله :

" . . . قُلْ إِصْلاَحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ . . . ﴿ 220 ﴾ " سورة البقرة .

ومن الوصايا الّتي جاءت في هذه الآيات قوله تعالى :

" . . . وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا . . . ﴿ 152 ﴾ " سورة الأنعام .

هذه وصيّة لكلّ من يتعامل بالكيل والميزان بأن يعطي الكيل والميزان حقّه ولا يبخس النّاس أشياءهم ولا ينقص لهم في الميزان فقد توعّد الله عزّ وجلّ على ذلك فقال :

" وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿ 1 ﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿ 2 ﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿ 3 ﴾ " سورة المطفّفين .

فتوعّدهم الله عزّ وجلّ بالويل وبالعذاب الأليم لأجل ما ينقصون فيه من الميزان ونستطرد فنقول إنّ هذه الوصيّة تتضمّن وصيّةً للتّجّار أجمعين بأن يتّقوا الله عزّ وجلّ في عموم المسلمين في ما يتعلّق بأنواع البضائع الّتي تباع ما يتعلق من ملبسٍ أو مأكلٍ فإن راعوا دين المسلمين في ملابسهم فلا ينبغي لهم أن يبيعوا ما نراه من ألبسةٍ فاضحةٍ ممّا يندى له الجبين وصارت تخجل من رؤيته العين وأن يتّقوا الله عزّ وجلّ فيما يباع من المآكل فلا ينبغي أن يتهاونوا في ذلك أدنى تهاون فإن الله عزّ وجلّ محاسبهم أيّما حسابٍ وإنّ من الوصايا الّتي جاءت في هذه الآيات :

" . . . وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى . . . ﴿ 152 ﴾ " سورة الأنعام .

هذه وصيّة بأن نقول العدل وهو الحقّ ولو كان على الأقربين بل ولو كان على النّفس أن نشهد شهادة حقٍّ لله تبارك وتعالى وقد قال الله عزّ وجلّ :

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ . . . ﴿ 8 ﴾ " سورة المائدة .

أي قوموا لله عزّ وجلّ بحقّه الّذي أوجب واشهدوا عند الله عزّ وجلّ بما هو عدل عنده سبحانه فلا ينبغي أن نجور في أحكامنا ولا ينبغي أن يحملنا أو تحملنا قرابةُ قريبٍ على أن نظلم شخصًا ولو كان من أعدى أعدائنا :

" . . . وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ . . . ﴿ 8 ﴾ " سورة المائدة .

أي لايجرمنّكم لا يحملنّكم بغضكم لقومٍ :

" . . . عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى . . . ﴿ 8 ﴾ " سورة المائدة .

ومن جميل ما نقل في هذا أنّ بعض الصّحابة رضي الله عنه وأظنّه طلحة بن عبيد الله ذهب إلى أهل خيبر وكان فيها اليهود ليأتي منها بالخراج فأراد اليهود أن يرشوه حتّى يتسهّل معهم في الخراج فقال إنّي جئتكم من أحبّ النّاس إليّ وإنّكم لأبغض النّاس إلى قلبي ولا يحملني حبّ من جئت من عنده وبغضي لكم ألاّ أعدل في حقّكم فقال اليهود في بهذا قامت السّماوات والأرض أي بالعدل قامت السّماوات والأرض فعلينا جماعة المسلمين أن نحرص على العدل في أقوالنا وأن نحرص على العدل في شهادتنا وأن نحرص على العدل في كلّ ما نقوم به في حياتنا الدّنيا تجاه إخواننا من المسلمين أو أعدائنا من الكافرين ومن الوصايا الّتي جاءت بها هذه الآيات وهي خاتمتها وهي قبّة الهرم فيها قوله عزّ وجلّ :

" وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ . . .

﴿ 153 ﴾ " سورة الأنعام .

وأنّ هذا أي الدّين الّذي أنا عليه الّذي عليه النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم صراطٌ مستقيمٌ لا اعوجاج فيه ولا نقص فيه الواجب تجاهه :

" . . . فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ . . . ﴿ 153 ﴾ " سورة الأنعام .

وإن من هذا الدّين وهذا الصّراط المستقيم ما مرّ معنا في هذه الوصايا الّتي سمعتم فعلى المسلم أن يرعاها حقّ رعايتها وأن يؤدّي على الوجه الّذي يرضي الله سبحانه وتعالى جمع النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم مرّة جمع الصّحابة فخطّ خطًّا مستقيمًا وخطّ على جوانبه خطوطًا معترضةً ثم تلا قوله عز وجل :

" وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿ 153 ﴾ " سورة الأنعام .

ثمّ قال هذا صراط الله وأشار على الخطّ المستقيم وقال هذه السُّبُل والمراد بالسّبل هي سبل الشّيطان فإنّ على كلّ سبيلٍ من هذه السّبل لا كما جاء في بعض الأحاديث شيطان يدعو إلى سبيله وإنّ الموفّق من ثبت على الصّراط المستقيم وقد جاء رجلٌ إلى النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم يسأل قال قل لي في الإسلام قولاً لا أسال عنه أحدًا غيرك قال قل آمنت بالله ثمّ استقم أي استقم على دين الله عزّ وجلّ ولا ترى في ذلك معوجًّا كما قال عمر بن الخطّاب في قوله تعالى :

" إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿ 30 ﴾ " سورة فصّلت .

" إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿ 13 ﴾ " سورة الأحقاف .

قال :

(الّذين لم يروغوا رَوَغَان الثّعلب يعني الّذين لم يتلاعبوا بدينهم و لم يتحايلوا في دينهم وإنّما في هذه الأيّام وللأسف نرى من المسلمين من يتحايل على دين الله عزّ وجلّ بغية أن يتخلّص من التّكاليف الشّرعية والله عزّ وجلّ يعلم السّر وأخفى والله عزّ وجلّ يعلم من يريد الإستقامة فيوفّقه ويعلم من يريد الإعوجاج فيضلّه إن لم يتب وإن لم يرجع إلى ذلك .

هذه بعض الوصايا الّتي أحببت أن أذكّر نفسي وإخواني في هذا اليوم يوم عيد المسلمين أسأل الله عزّ وجلّ أن يجعلنا ممّن يعطيها حقّها على التّمام والكمال .

اللّهمّ اجعلنا ممّن استقام على دينك ،

اللّهمّ ارزق استقامة القلب والأركان ،

اللّهمّ ارزقنا استقامة على دينك لا اعوجاج بعدها ،

اللّهمّ ثبّتنا بالإسلام حتّى نلقاك ،

اللّهمّ احفظنا بالإسلام قائمين واحفظنا بالإسلام قاعدين واحفظنا بالإسلام راقدين ولا تشمت بنا أعداءه ولا حاسدين ،

ربّنا اغفر لنا ذنوبنا كلّها دقّها وجلّها سرّها وعلانيتها ما علمنا منه وما لم نعلم فنحن أهل الذّنوب وأهل الخطايا وأنت أهل المغفرة والعفو وعفوك أوسع لنا فاعفو عنّا يا رب العالمين ،

فصلّ اللّهمّ وسلّم وبارك على نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين ،

سبحان الله وبحمده سبحانك اللهم وبحمدكم أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك .